مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

منهج ناظر الجيش فى شرحه للتسهيل وأسلوبه فيه

ثناء نصر أحمد سعيد

باحثة بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2022.123023.1379

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٦) يوليو ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الملخص:

هذا البحث في علم النحو تتمثل أهميته فى الوقوف على ترجيحات ناظر الجيش النحوية ، واعتراضاته على النحاة خصوصًا لمكانة كتابه التسهيل فى التراث النحوى ، ولإبراز مكانة ناظر الجيش المسمى فى كتب النحاة بمحمد بن يوسف بن أحمد عبد الدائم الحلبى المولود سنة ٦٩٧هـ بالقاهرة ، وقد تتلمذ على علماء مشهورين كأبى حيان، والقزوينى، والتبريزى ، وغيرهم .

- تولى نظارة الجيش بالديار المصرية ، و ألف كتابى شرح التسهيل ، وشرح تلخيص المفتاح فى المعانى ، والبيان ، ويرجع ذلك إلى كثرة اشتغاله بالمناصب التى تولاها.
- تميزت المدرسة النحوية فى عصره بخصائص كثيرة منها وضع المتون النحوية ، كثرة الشروح ، كثرة المنظومات النحوية ، نظم المنظومات النثرية ، التدريب على الإعراب ، والألغاز النحوية ، والاهتمام بشواهد الشعر النحوية ، الاستشهاد بالقراءات ، والاحتجاج بالحديث الشريف ، والموازنة ، والاختيار ، والاجتهاد .
- ويعد كتابه التسهيل موسوعة نحوية جمع فيه آراء المتقدمين ، والمتأخرين إلى زمنهم فهو ذو قيمة علمية كمرجع مهم لكل باحث ، ومن هنا تعددت مصادره شرح التسهيل ، ومراجعه حيث اشتملت على كثير من النحاة ، واللغويين ، ورجال الحديث ، والمفسرين ، والقراء ، والشعراء .
- أما عن أسلوبه فقد تميز بالعذوبة ، والرقة ، والسلاسة ، والبعد عن التعقيد اللفظى كما مال إلى السهولة ، والتنوع فى الأسلوب ، والتحليل ، والإسهاب ، والتأثر بالأساليب البلاغية ، والمنطقية ، وإظهار التواضع ، والاستفادة من السابقين ، فكتابه من أعظم كتب النحو أثرًا واضحًا ، وأدومها ذكرًا .

الكلمات المفتاحية : ترجيحات ، ناظر الجيش ، علم النحو ، كتاب تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين وبعد ... فإن علم النحو من العلوم الجليلة،الذى ارتقى به صاحبه؛فنما عقله،وصح لسانه،وانكشف بمعرفته مواطن اللحن،واعتمد عليه دارسه فى كل فن،ولعلاقته المتينة بالقرآن الكريم،وأحكامه التشريعية أقبلت عليه الجموع الغفيرة،وقدمت له من السنين الكثيرة،ويقول الجرمى:أنا مذ ثلاثون أفتى الناس في الفقه من كتاب سيبويه"[1].

أهمية البحث:

* الوقوف على ترجيحات ناظر الجيش النحوية،واعتراضاته على النحاة،ومناقشته لها.

* إثراء العقل بالطرق المختلفة،والأساليب المتعددة فى مجال الترجيح النحوي.

* دراسة الترجيحات تحيل الباحث إلى كتب النحاة،والعلوم ذات الصلة؛لمعرفة الراجح؛ممايعطي الطالب مجالًا للتوسع فى مجال تخصصه،وما يتصل به،ويخدمه من علوم،كما أنها تنمى ملكته النقدية، ومناقشة الأقوال،والترجيح بينها،ومعرفة أسباب الترجيح؛فهومجال رحب لبروزشخصية الطالب،وقدرته على التمييز بين الراجح،والمرجوح من الأقوال؛لأن مبناها على الجمع،والتحليل،والنظر بين الأقوال ،ومناقشتها،ولا يخفى ما في ذلك من النفع،والفائدة.

أسباب اختياري لهذا البحث:

. مكانة كتاب التسهيل فى التراث النحوى،فعلى الرغم من إخراجه للناس بصورة مبسطة إلا أنه قوبل بكثيرمن الترجيحات النحوية.

---

(١) طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الإشبيلي (ص٧٥).

. عدم وجود دراسة سابقة لترجيحات ناظر الجيش النحوية فى كتابه تمهيد القواعد – حسب علمى – المبنية على العرض،والدراسة،والمناقشة.

. القيمة العلمية الكبيرة للترجيحات؛فهى خلاصة علم ناظر الجيش،ونتاج معرفته .

. إن النحو علم كثر الخلاف فيه؛فهو بحاجة إلى التحقيق،والترجيح .

. إن هذا البحث يعد تطبيقًا لقواعد الترجيح فى النحو التي أَصَّلَ لها العلماء .

. عرض العلماء للنصوص،والآراء،والترجيح بينها يزيد الباحثين فهم العلم.

أهداف البحث:

. عرض ترجيحات ناظر الجيش النحوية من خلال كتابه تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد،ومناقشتها ،وبيان القول الراجح.

. إبراز مكانة ناظر الجيش كعالم نحوى،وإظهارأهم معامل ترجيحاته النحوية.

. التذكير بأهم بعض كتب النحو التى يعتنى مصنفوها بالترجيح بين الأقوال،والموازنة بينها.

. إبداء الرأى فى كل مسألة بحسب ما أقف عليه من الأدلة.

منهج البحث:

. تعتمد الدراسة بشكل رئيسى على المنهج الوصفى الاستقرائى في إطار تحليلى،وذلك بإحصاء المسائل التي رجحها ناظر الجيش فى كتابه تمهيد القواعد.

نبذة عن ناظر الجيش

اسمه ونسبه:

قال ابن حجر: "محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبى الأصل المصرى محب الدين" (١).

(١)ينظر:الدرر الكامنة(٥/٦١).

وقال ابن تغرى بردى :"القاضى محب الدين،أبو عبد الله محمد بن القاضى نجم الدين أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم التميمى المصرى بناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية"[١].

وقال السيوطى:"ناظرالجيش محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبى"[٢].

وفي كشف الظنون:"محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبيد الدائم؛المعروف بناظر الجيش الحلبى"[٣]. من هنا يمكن أن أقول:إن هناك اتفاقا بين الذين ترجموا لناظر الجيش في سلسلة نسبه على هذا النحو:"محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبى "[٤].

لقبه :

اتفقت جميع المصادر التى ترجمت لناظر الجيش على أن لقبه:"محب الدين"،وقد عرف به بعد أن تولى نظارة الجيش:أى أنه اكتسبه فى أخريات حياته.

كنيته :أشار إليها :

. معجم المؤلفين، قال "محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم التميمى المصرى الحلبى؛المعروف بناظر الجيش محب الدين أبو عبد الله"[٥].

. والنجوم الزاهرة،قال:"القاضى محب الدين أبو عبد الله[٦].

---

(١)ينظر:النجوم الزاهرة (١١/١٤٣).

(٢)ينظر:حسن المحاضرة (١/٥٣٧).

(٣)ينظر:كشف الظنون (١/٤٧٧).

(٤)ينظر في ترجمته:معجم المؤلفين(١٢/١٢١)،وبغية الوعاة (١/٢٧٦،٢٧٥)،وشذرات الذهب (٦/٢٥٩)،وهدية العارفين (٢/١٦٩).

(٥)ينظر:معجم المؤلفين (١٢/١٢١).

(٦)ينظر:النجوم الزاهرة (١١/١٤٣).

مولده وموطن ولادته:

ولد ناظر الجيش سنة(٦٩٧هـ) بالقاهرة،ولم يختلف في ذلك أحد ممن ترجموا له،ويبدو أن ناظر الجيش بعد أن ولد بالقاهرة انتقل إلى حلب مع أسرته،واشتغل بها مدة من الزمان،ثم عاد إلي القاهرة محل ميلاده،وقد يفهم هذا من كلام السيوطى فى حسن المحاضرة حيث يقول:"واشتغل ببلاده،ثم قدم القاهرة"[١].

ثقافته:

إن رجلًا تتلمذ على علماء أفذاذ لهم من الشهرة ما لهم؛من أمثال:أبى حيان،والتقى السبكى،والجلال القزوينى،والتقى الصائغ،والتاج التبريزى،وغيرهم.

أسلفت ذكرهم ..لابد أن يكون تلميذًا ذا ثقافة عالية نظرًا لمجالسته لهؤلاء العلماء،وملازمته لهم ينهل من علومهم،ويرشف من فنونهم،ويتغذى من ثقافتهم الواسعة،فاستفاد منهم الكثيرالذى أودعه مؤلفاته النحوية،والبلاغية،وغيرها.هذا،وقد أشارالسيوطى إلي أنه حدث،وأفاد،وكانت له يد طولى فى الحساب [٢]،وهذا يدل على تنوع ثقافة الرجل،وأنه لم يترك شيئًا من العلوم إلا أقبل عليه وحصل منه .

صفاته،وأخلاقه:

لقد تحلى ناظر الجيش بصفات غاية في الحسن والروعة ..فها هو ذا ابن حجر يقول عنه:"وترقى إلى أن ولى نظر الجيش بالديار المصرية،ففاق من قبله من الأكابر ؛فضلًا عن أقرانه فى المروءة ،والعصبية لجميع الناس ممن يقصده؛خصوصًا طلبةالعلم،فكان لهم فى أيامه من المكارم،والأفضال مالا يعبر عنه فى،ولا يحصى كثرة؛حتى إنى لم أدرك أحدًا من المشايخ إلا ويحكى عنه فى هذا الباب ما لا يحكيه الآخر ،ولم يزل في عزه،وجاهه

---

(١)ينظر:حسن المحاضرة للسيوطى (٥٣٧/١).

(٢)ينظر:بغية الوعاة (٢٧٥/١)،وشذرات الذهب (٢٥٩/٦).

ومهابته إلى أن مات [1].وقال عنه ابن تغرى بردى:وكان القاضى محب الدين رجلًا صالحًا فاضلًا،وله سماع عال [2].

وقال عنه ابن العماد فى شذرات الذهب:"وكان كثيرالظرف،والنوادر ،وبلغت مرتباته فى الشهر ثلاثة آلاف ،وكان من محاسن الدنيا مع الدين والصيانة"[3].

الحياة العلمية في عصر ناظر الجيش :

فى الوقت الذي سقطت فيه بغداد سنة ٦٥٦هـ على يد التتار–أصبح المسلمون فى حيرة من أمرهم، فإذا بهم يلتفتون فى مشارق الأرض،ومغاربها يبحثون لأنفسهم عن ملجأ يلجأون إليه،ومأوى يأوون إليه؛فلم يجدوا أمامهم غيرمصر ،والشام؛حيث أسس المماليك لهم ملكًا،وأقاموا لأنفسهم سلطانًا،وكونوا لعرشهم جندًا يذود عنه،ويدفع كيد الأعداء،وكان من حسن سياسة سلاطين المماليك أن أفسحوا فى مصرمكانًا للخلافة جديدًا يؤوون فيه أحد سلائل خلفاء بنى العباس بعد ثبوت نسبه،وبذلك أعادوا للخلافة سيرتها،وبذلك اكتسبت مصر مكانًا جديدًا فى الحياة،وانتقل النشاط العلمى من العراق،وبغداده إلى مصر ،وقاهرتها،ونشرت القاهرة زعامتها العلمية،وقيادتها الأدبية على البلاد الإسلامية تقريبًا زهاء هذه القرون الثلاثة التى عاشت فيها دولة المماليك[4].

مؤلفاته:

لقد اتفقت جميع المصادر التى ترجمت لناظر الجيش على أنه لم يؤلف سوى كتابين :

([1])ينظر:الدرر الكامنة (٦١/٥).

([2]) ينظر:النجوم الزاهرة (١٤٤/١١).

([3])ينظر:شذرات الذهب (٢٥٩/٦).

([4])ينظر:عصر سلاطين المماليك (١٣/١٠/٣).

الأول هو: شرح التسهيل الذى أنا بصدد تحقيقه،وقد أشارت بعض المصادر إلى أنه لم يتمه [١]،والثاني هو :شرح تلخيص المفتاح فى المعانى،والبيان [٢].

هذان هما الكتابان اللذان أشارت إليهماجميع المصادرالتى ترجمت لناظرالجيش،وأنهما من تأليفه،وفى أثناءاطلاعي على كتاب:عصر سلاطين المماليك–وجدت أن المؤلف يشير إلى أن محب الدين محمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش له "شرح على الألفية" [٣].

ويبدو أن قلة مؤلفات ناظر الجيش ترجع إلي اشتغاله بالمناصب التى تولاها،ويوضح ذلك ماذكره فى مقدمةهذا الشرح؛حيث ذكرأنه توقف عن إتمامه قال[٤]:"وقد كنت شرعت فى ذلك والزمان غض،والشباب غير مبيض،فلما عاقت عنه العوائق،وتقاصرالعزم لما نبا الطلبة عن تلك الطرائق،وشغلتنى الخدم[٥]،

وتحققت ما رأيته من قصور الهمم أحجمت عن إتمامه من غير فترة،وتركت العمل فيه؛وإن كانت الرغبة فى ذلك مستمرة".

خصائص المدرسة النحوية فى عصر "ناظر الجيش":

١–وضع المتون النحوية :

لقد كثر فى هذا العصر وضع المتون النحوية،وربما كان مرجع ذلك إلى سقوط بغداد،وذهاب كثير من المؤلفات النحوية،فأراد علماء النحو أن يحفظوا أصول هذا

---

(١)ينظر: بغية الوعاة (٢٧٦/١)،وشذرات الذهب (٢٥٩/٦)،وكشف الظنون (٤٠٧/١).

(٢)ينظر:كشف الظنون (٤٧٧/١) ،وحسن المحاضرة (٥٣٧/١)،والنجوم الزاهرة (١٤٤/١١).

(٣)ينظر:عصر سلاطين المماليك (١٥٤/٢).

(٤)ينظر:مقدمة كتاب شرح التسهيل لناظر الجيش (ج١).

بدو أنها جمع : خدمة كنعمة ونعم ونقم ، ولكنه غير مستعمل ، ومما يؤكد هذا المعنى أن ابن تغرى بردى حين ذكره قال عنه : وكان فى ابتداء أمره تولى ديوان جنكلى بن البابا، ثم خدم عند الأمير منكلى الفخرى " .ينظر:النجوم الزاهرة (١٤٣/١١). (٥)ينظر: الدرر الكامنة (٦١/٥).

العلم؛فوضعواهذه المختصرات حتى لا تضيع المصادر النحوية التى يستمدون منها نحوهم[١].

٢-كثرة الشروح :

يمكن القول بأن هذا العصر عصر الشروح،شروح المؤلفات النحوية التى وضعها مشاهيرالعلماء السابقين من أمثال:سيبويه،وابن عصفور،والجرجانى،والزجاجى،وأبى على الفارسى،وابن بابشاذ ،والجزولى،والزمخشرى،وشروح المؤلفات النحوية التى وضعهاالنحاة المعاصرون من أمثال:ابن الحاجب ،وابن مالك،وابن هشام[٢].

٣-كثرة المنظومات النحوية :

فقد نظم ابن معط ألفيته،ثم جاءابن مالك،ونظم ألفيته على مثالها،وهذا يعد لونًا من ألوان الحفاظ على أصول هذا الفن [٣].

٤-نثر المنظومات :

كما نظموا المنثوركانوا كذلك ينثرون المنظوم؛من أجل إظهارالبراعة،وتسهيل النحو كما يبدو لهم.

٥-التدريب على الإعراب :

من هؤلاء الذين أعربوا الألفية الشيخ:شهاب الدين أحمد بن الحسن الرملى الشافعي المتوفى سنة (٨٤٤هـ) [٤].

٦-الألغاز النحوية :

---

(١)ينظر:المدرسة النحوية فى مصر،والشام (ص٤٤٢) ،ونشأة النحو (ص٢٧٣،٢٧٢).

(٢) ينظر المدرسة النحوية (ص٤٤٣)،ونشأة النحو (٢٧٣،٢٧٢).

(٣)المدرسة النحوية (ص٤٤٥).

(٤)المرجع السابق ص٤٤٨.

لقد كثرت الألغاز النحوية فى هذا العصر والتبارى فى وضعها،ولكثرتها ألف فيها رسائل ووضعت من أجلها كتب،ومن تراث ابن هشام في هذا الميدان رسالته فى الألغاز التى ألفها لخزانة السلطان الملك الكامل،وله أيضًا شرح للقصيدة اللغوية فى الحسان النحوية،طبعت ضمن كتاب السيوطى" الأشباه ،والنظائر".

٧-الاهتمام بشواهد الشعر النحوية :

مثل شرح أبيات سيبويه لأبى جعفر النحاس،وشرح شواهد جمل الزجاجى لابن هشام،وشرح شواهد شروح الألفية للعينى .

٨-الاستشهاد بالقراءات :

ومن أهم الدعائم التى استند إليها علم القراءات بمصر ما نظم الشاطبى المشهور المتوفى سنة (٥٩٠ هـ)،وكثرعلماء فن القراءات،وأكب كثير منهم على تدريسه بدور العلم،وأكب بعضهم أيضًا على التأليف فيه،وتوضيح مسائله،ومن كُتُب هذا الفن [١]:

أ-كتاب القراءات:لمعين الدين عبدالله بن محمد بن عبدالله أبى بكرالتكراوى الإسكندرانى المتوفى سنة (٦٨٣هـ).

ب-شرح الشاطبية:لشهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبى السمين (ت٧٥٦هـ).

ج-شرح الشاطبية:لشهاب الدين أبى شامة المتوفى سنة (٦٦٥هـ).

د-المقدمة الجزرية :

وهى منظومة فى التجويد،وضعها شمس الدين أبو الخيرمحمد بن الجزرى الدمشقى القرشى المتوفى سنة (٨٣٣هـ)،وله أيضًا كتاب"النشر فى القراءات العشر"،وقد كان لهذه المؤلفات الأثر الكبير فى المؤلفات النحوية،والصرفية؛حيث استشهدعلماءالنحو،والصرف بالقراءات

---

(٢) عصر سلاطين المماليك (٣/١٥٠-١٥٢).

القرآنية على صحة القواعد وتخريج الآراء،وكان هذا واضحًا فى مؤلفات أبى حيان،والمرادى،وابن هشام،والسمين الحلبى،وناظر الجيش .

٩-الاحتجاج بالحديث الشريف :

وكان الإمام جمال الدين بن مالك أول من جوز الاحتجاج بالحديث النبوى الشريف،وتبعه فى ذلك كثير من أئمة النحو بعده؛من أمثال العلامة المحقق الرضى[١]،وقد تبعهما كثيرمن المتأخرين،كالمرادى، وناظر الجيش،والدمامينى [٢].

١٠-الموازنة،والاختيار :

وهذه سمة واضحة من سمات هذا العصر-عصر ناظر الجيش – فليس هناك من جديد؛فاتجه النحاة إلى الاعتماد على المتقدمين ينقلون عنهم،ثم يعقدون الموازنات،وأخيرًا يتم اختيارالآراء الصحيحة ،وطرح الفاسد منها،وخير مثال على ذلك ما نراه فى شرح التسهيل لناظرالجيش،وكذا ما نراه فى مؤلفات المرادى،وابن هشام،والدمامينى.

١١-الاجتهاد(٣):

وأيضًا هذه سمة ظاهرة من سمات هذا العصرجاءت نتيجة للموازنات،والاختيارات؛فلم يكن بد من الاجنهاد فى هذه الاختيارات؛حتى يصل العلماء إلى بغيتهم، ولعل خير مثال على ذلك ما نراه فى شرح التسهيل لناظرالجيش وهو (كتاب التسهيل لابن مالك).

وفاته:

اتفقت جميع المصادر على أن وفاة " ناظر الجيش "كانت سنة (٧٧٨هـ) [٤].

---

(٣)ينظر:خزانة البغدادي (٤/١).

(٤)ينظر:شرح العمدة (ص ٢٦٥).

(١)المدرسة النحوية في مصر،والشام (ص٤٤٨).

(٤)ينظر:الدرر الكامنة (٦٢/٥)،والنجوم الزاهرة (١٤٣/١١)،وحسن المحاضرة (٥٣٧/١).

اسم الكتاب :

أشار المؤلف فى مقدمة الكتاب أنه أسماه :"تمهيد القواعد"؛حيث قال:فشرعت فى ذلك مستمدًا من الله تعالي أن يوفقنى لسبيل الرشاد،وأن يهدينى إلى التبصير ،والسداد،وأن يعيننى بتوفيقه على بلوغ الغرض ،وإكمال المراد،وسميته:تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد [١] ،ولقد وجدت عناوين الكتاب فى جميع مخطوطاته،ومنها ما قرأه الناسخ على مؤلفه،وجدته يسمى شرح التسهيل والأمرجد قريب.

قيمة الكتاب العلمية:

يعد كتاب شرح التسهيل لناظر الجيش هذا موسوعة نحوية جمع فيه صاحبه آراء المتقدمين ، والمتأخرين إلي زمنه ، ويظهر ذلك بجلاء حين أقول: إن هذا الكتاب – تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد – ذو قيمة علمية عظيمة تتمثل فى أنه مرجع مهم لكل باحث أراد الوقوف على رأى للنحاة المتقدمين أو المتأخرين إلى عصره على حد سواء ؛ فقد حرص صاحبه على جمع آراء النحاة ما أمكنه : من بصريين ، وكوفيين، وأندلسيين ، ومغربيين ، وغيرهم،فالمتصفح لهذا الكتاب يرى أنه ضم آراء الخليل ، ويونس ، وسيبويه فى كتابه ، والشلوبين فى شرح المقدمة الجزولية ، والتوطئة ، وغير ذلك من مؤلفاته ، وابن عصفور فى المقرب ، وشرحه، وشرح الجمل ، والإيضاح ، وابن الضائع فى شرح الجمل ، والزجاج فى معانى القرآن ، والزجاجى فى جمله ، وأماليه، وابن أبى الربيع فى شرح الإيضاح، والسيرافى ، والصفار ، وابن خروف فى شروحهم على كتاب سيبويه ، وابن هشام الخضراوى ، وابن الطراوة فى كتابيهما البسيط ، والإفصاح ، وغيرهم من هؤلاء الأعلام وكتبهم ، كما تتمثل قيمة هذا الكتاب العلمية فى أنه مرشد لكل من ينشد الحق ، والصواب ، والدقة فى تحرى المسائل النحوية ؛ حيث إنه يرد اعتراضات أبى حيان على

---

(١)ينظر:شرح التسهيل لناظر الجيش ٠

ابن مالك بالحجة القوية ، والبرهان الساطع ، والدليل القاطع ؛ لأن أبا حيان مصيب فيما ادعاه ، فإذا قرأ إجابات ناظر الجيش عن ابن مالك عرف الصواب ، ووصل إلى الحقيقة.

منهج ناظر الجيش فى شرحه للتسهيل وأسلوبه فيه

أولًا : منهجه في التأليف :

ترسم ناظر الجيش فى شرحه للتسهيل منهجًا لم يحد عنه طوال صحبته لهذا الكتاب الكبير ، وهو التسهيل . ويتلخص هذا المنهج في عدة أمور :

١-ترسم خطى ابن مالك فى الأبواب ، والفصول التى جاءت فى التسهيل ؛ فهو يعرضها دون تقديم أو تأخير ؛ حيث يذكر القطعة من المتن طالت أو قصرت من التسهيل ، ثم يأخذ فى شرحها مشيرًا إلى المتن بـ(ص) ، وإلى الشرح بـ(ش) (١).

٢-إيراد ما جاء فى شرح التسهيل لابن مالك ، وتصدير ذلك بقوله ، قال ابن مالك ،على قدر المتن الذى يشرحه فقط ، وقد استمر على هذا المنهج طوال الكتاب ؛ لأنه كان يعلم أن ابن مالك هو الوحيد الذى يعرف ما يقصده من كتابه ، وما يريد من متنه ، ثم يختم النقل بقوله : انتهى كلام ابن مالك رحمه الله تعالى،وإذا أعجب بما قاله ابن مالك وما فتح الله عليه – مدحه بالنثر والشعر من قبل كقول البحترى:

وَحَديثُها السحْرُ الْحَلالُ لَوَ أنَّهُ لم يَجْن قَتْل المسلمِ المُتحرزِ

إن طال لم يُملْ وإنْ هىَ أوجزَتْ ودَّ المحدَّثُ أنهَّا لم تُوجِزِ

شَرَكُ العقولِ ونُزهَةٌ ما مِثْلها للمطمئن وغُقلةُ المسْتَوفِزِ

---

(١) وقد قمنا بحذف الـ (ص) ، والـ (ش) فجعلنا مكان الـ (ص) عبارة (قال ابن مالك) ، ومكان الـ (ش) عبارة (قال ناظر الجيش).

وغير ذلك من ألفاظ الغزل ، والحب ، والإعجاب ، وما أكثرها فى الكتاب ، و من هنا أقول : إن شرح ناظر الجيش تضمن شرح ابن مالك كله أو يزيد .

٣-بعد سرد كلام ابن مالك يأخذ ناظر الجيش فى مناقشته ، ومناقشة أبى حيان لهذا الكلام ، واعتراضه عليه ، ويورد الاعتراض منقولًا من كتاب التذييل ، وهو شرح أبى حيان ، ثم يجيب على هذه الاعتراضات ويبطلها بالحجة والدليل القوى دون غرور أو استعلاء ، ويدافع عن ابن مالك إذا قذفه أبو حيان بألفاظ خارجة أو أمور جارحة ، ثم يمدح ابن مالك ، وأن كتبه وصيته فى المشرق ، والمغرب ، وأن الشمس لا يستطيع أن يطفىء ضوءها أحد.

٤-بعد سرد كلام ابن مالك ، واعتراض أبى حيان عليه ، إذا وجد ناظر الجيش أحد علماء قد سرد المسألة بتوضيح أكثر وبيان أوضح – فلا يتردد فى نقله ، وقد حشا الكتاب بنقول مختلفة من كتب ضاعت على مر السنين مثل : شرح الإيضاح وشرح المقرب ، وكلاهما لابن عصفور ، والإفصاح فى شرح الإيضاح لابن هشام الخضراوى ، وشرح المفصل لابن عمرون ، و كان يسرد ذلك تحت عنوان : أبحاث أو أمور أو تنبيهات قد تصل أحيانًا إلى عشرة فى كثير من المتن المشروح . كما كان يعقد مقارنات بين كلام ابن مالك ، وكلام غيره ، فينصف ابن مالك أو ينصف غيره ، وأحيانًا تكون المقارنة بين رأيين مختلفين لابن مالك فى شرح التسهيل وغيره ، ولابن عصفور فى شرح الجمل وغيره .

٥-أظهر ناظر الجيش براعة فائقة فى مناقشة القضايا ، والآراء ، والمذاهب المختلفة ، مما دل على اطلاعه الواسع ، ووقوفه على كثير من كتب التراث ، وهو يناقش القضية أو يذكر المسألة .

٦-أكثر الشارح من الاستشهاد بالقرآن الكريم ، وأشعار العرب ، وأقوالهم ، وأمثالهم ، وكان يقتدى بابن مالك ، ذلك الراوية المضروب به المثل فى الاطلاع الواسع على دواوين العرب

، والوقوف على أشعارهم . وأيضًا كان يقتدى بأبى حيان العالم الكبير فريد عصره ، ووحيد دهره .

٧-ربط ناظر الجيش أبواب الكتاب بعضها ببعض؛ حيث كان لا يكرر الكلام ؛ وإنما كان يحيل على أبواب متقدمة سبق الكلام عنها ، أو يؤخر الحديث حتى يصل إلى باب كذا مما سيأتي ؛ فرارًا من تكرار لا داعى إليه .

٨-لم يكن ناظر الجيش مجرد ناقل من هنا ، وهناك ؛ وإنما كان يقارن ، ويوازن ، ويختارالأقرب إلى الصواب فى المسألة معللًا ومدللًا ، والأمثلة على ما ذكرهنا ، وفيما قبله كثيرة منتشرة فى الشرح كله .

٩-ينص ناظر الجيش – فى كثير من نقوله – على الكتب التى ينقل منها ، كان يقول : وقال ابن عصفور فى شرح الإيضاح أو شرح الجمل ، وقال ابن مالك فى شرح الكافية ، وقال أبو حيان فى الارتشاف ، وإذا أطلق فقال : ابن مالك أو أبو حيان ، فإنما يقصد شرحهما على التسهيل ، بل لقب ابن مالك بابن مالك ، وأبا حيان بالشيخ .

هذا هو المنهج العام الذى كان يسير عليه ناظر الجيش فى شرحه طوال الكتاب ، وأما منهجه فى عرض المسائل فكان يتبع الآتي :

١-الميل فى أكثر الأحيان إلى التقسيم ، والتنظيم ؛ إيثارًا للفهم ، والضبط ، وهذه الطريقة أخذها من ابن عصفور فى تآليفه المختلفة ، وبخاصة المقرب .

٢-التفصيل بعد الإجمال ، وهو امتداد للأمر الأول ، حيث يعرض المسألة مجملة ؛ ليقف عليها القارىء ، ثم يأخذ فى ذكر التفاصيل ، والمناقشة الواسعة ، وهذه هى الطريقة المثلى للفهم ، والتحصيل ، وأحيانًا كان يعكس فيجمل بعد تفصيل ويوجز بعد إطناب للغرض نفسه ، وهو جمع المسألة ؛ ليحفظها القارىء ، ويقف عليها الطالب .

٣-طريقة السؤال والجواب : وقد اشتهر بها صاحب الإنصاف ، وأسرار العربية أبو البركات الإنبارى ، كما اشتهر بها الزمخشرى فى كتبه ، وهى قولهم : وهنا سؤال ، أو قولهم : فإن قيل ، أو قولهم : وهنا اعتراض ، وهكذا.

٤-تحرى الدقة قبل إبداء الرأى : أى أنه كان لا يقول بقولٍ إلا بعد أن يطمئن إليه ويقف عليه فإذا لم يظهر له الصواب كان يعلن ذلك ، وقد كثر فى شرحه مثل هذه الألفاظ : ولا أفهم مقصود ابن مالك بذلك ، وقوله : والشيخ قد التبس عليه هذا الأمر ، وقوله : وقد كان هذا الأمر يدور بخاطرى ؛ لكن لم أذكره حتى رأيت الشيخ قد ذكره وأجازه فقلت به .

٥-إجابته عن اعتراضات أبى حيان : وهذا أمر تميز به شرح ناظر الجيش دون شروح التسهيل

كلها ، وقد أخذ ناظر الجيش على عاتقه ذلك من أول كتابه وذكره فى مقدمته ؛ حيث رأى تجني أبى حيان علي ابن مالك واتهامه إياه بالجهل أو النسيان أو عدم الوقوف على كتاب سيبويه ؛ فانبرى يدافع عن الرجل ، ويرد اتهام البرىء ، وينصر المظلوم .

ثانيًا : أسلوبه فى شرح التسهيل

امتاز أسلوب ناظر الجيش فى هذا الكتاب بالعذوبة ، والرقة ، والسلاسة ؛ حيث أنه بعد عن التعقيد اللفظى ، ومال إلى السهولة فى التعبير، منوعًا فى أسلوبه بين الإيجاز ، والإطناب ، فقد مال إلى التحليل ، والإسهاب ، وذكر عدد كبيرمن آراء النحاة فى المسألة الواحدة ، كسيبويه ، والأخفش والخليل ، وابن عصفور، وابن الضائع ، وابن خروف ، وابن هشام ، وبهاء الدين النحاس،وعلم الدين السخاوى ،والزجاجى، والكسائى ، والفراء، وغيرهم من هؤلاء الأعلام الذين حفل الكتاب بذكر أسمائهم . فأسلوب ناظر الجيش فى شرحه للتسهيل يتسم بالأتى:

١-السهولة ، والعذوبة ، والرقة : فأنت لا تسأم من قراءة الكتاب أبدًا، مهما طال بك ذلك.

٢-البعد عن المعقدات اللفظية ؛ لأن صاحبه كان أدبيًا بلاغيًا ؛ فانعكس ذلك على أسلوبه.

٣-التأثر بالأساليب البلاغية فى بعض الأحيان ، واستخدام تعبيرات البلاغيين ، مثل :المسند ، والمسند إليه ، والمجاز، وأصحاب البيان ، وأرباب المعاني .

٤-التأثر بالأساليب المنطقية : ويتمثل ذلك فى ذكره بعض المصطلحات المنطقية ؛ كالعموم ، والخصوص ، والاختصاص ، والمشاركة ، والاجتماع ، وغيرها من هذه الأساليب.

٥-إظهار التواضع ، والاستفادة من السابقين : ظهر فى أسلوب ناظر الجيش التواضع ، وعدم الميل إلى الفخر والاعتداد بالنفس والغرور ، وقد تجلى ذلك فى كثير من التعبيرات التى عبر بها ، وفى مقدمة الكتاب ما يبين ذلك .

٦-كثر استخدامه لعبارات معينة : من أبرزها : انتهى كلام ابن مالك رحمه الله تعالى ، والظاهر أَنَّ ، والذى يظهر أن يقال ، ولقائل أن يقول ، وكلامه يعضد ، ولا شك أن ويتعلق به أبحاث ، ويتعلق به تنبيهات ، وهو كلام عجيب ، فعجيب، لا يخفى ضعفه ، و: السحر الحلال....

أثر التسهيل فى المؤلفات النحوية بعده :

لقد كان لهذا الكتاب من التأثير فى المؤلفات النحوية التى ألفت بعده ما لا ينكره منكر، وقد وضح هذا التأثير جليًا فى مؤلفات أولئك الذين تناولوه بالشرح والتعليق؛ فقد اعتمدوا عليه فى مؤلفاتهم

، ونقلو عنه الكثير فى مؤلفاتهم الأخرى التى هى بعيدة عن شرح هذا الكتاب .

وحسبنا فى ذلك ما نقله ابن هشام فى كتابه " مغنى اللبيب " صراحة أو تضمينًا ، ومثله صنع السيوطى فى "الأشباه ، والنظائر ،"و" همع الهوامع "، وكذلك رأينا الأشمونى فى شرحه على الألفية ينقل كثيرًا عن " التسهيل " ، مما يؤكد تأكيدًا لا مراء فيه أن " التسهيل " كان له الأثر الكبير فى المؤلفات التى ألفت بعده .

وترى الباحثة في غير مغالاة أن التسهيل من أعظم كتب النحو أثرًا واضحًا ، وأدومها ذكرًا منذ أخرجه ابن مالك إلى اليوم ، وما هى شروحه خيرمؤيد لهذا الرأى ؛ فقد بقى التسهيل بجانب الألفية فى جميع البيئات التى تعنى بدراسة العربية – مرجعًا للنحاة ، ومقصدًا للدارسين ، والباحثين ، فعلى هذين المصنفين قامت دراسة النحو، ومنها اقتبست أعظم المؤلفات النحوية بعد ابن مالك : كالتذييل ، والتكميل، ولخصه ارتشاف الضرب ، وهمع الهوامع للسيوطى ، وكتب ابن عقيل ، وابن هشام ، والأزهري ، والأشموني ، ومن خلفوهم فى دراسة النحو حتى يومنا هذا لا نجد كتابًا فى النحو يخلو من التأثر بالألفية ، والتسهيل ثم يستمر قائلًا : ولهذا كله أستطيع في غير تحرج أن أقرر أن التسهيل خير كتب ابن مالك النحوية ؛ إن لم يكن أعظمها جميعًا بعد كتاب سيبويه ، وأرجو أن يتهيأ للمهتمين بالدراسات اللغوية والنحوية الانتفاع بتسهيل ابن مالك كما تهيأ لهم الانتفاع بألفيته.

شرح ناظر الجيش – بين التأثر والتأثير – ما له وما عليه

أولًا : التأثر :

ذكرت أن مصادر شرح التسهيل لناظر الجيش ، ومراجعه التي استقى منها مادته العلمية ، وكيف تأثر بمن سبقوه ، وهم كثير قد انعكست مؤلفاتهم ، وكتبهم ، وآراؤهم في هذا الشرح .وكان منهم البصريون والكوفيون ، والبغداديون ،والأندلسيون والمصريون ، وغيرهم . فمن أعلام المذهب البصري الذين تأثر بهم : سيبويه ، والخليل ، والأخفش ، والمازني ، والمبرد والسيرافي . ومن أعلام المذهب الكوفي : الكسائي ، والفراء ، و ثعلب و الطوال. ومن أعلام المذهب البغدادي، أو ممن جمع بين النزعتين : ابن كيسان والزجاج وابن شقير وابن السراج .وأما أعلام المذهب الأندلسي فقد ظهر تأثيرهم في شرح التسهيل لناظر الجيش كثيرًا منهم : الأعلم وابن ظاهر والسهيلي وابن خروف والصفار والشلوبين ،وابن هشام الخضراوي وابن عصفور وابن الضائع وابن أبي الربيع . وأما أعلام المدرسة

المصرية الشامية : فكان على رأسهم : ابن الحاجب ، وابن مالك ، وأبو حيان وابن النحاس . كل هؤلاء أجد أراءهم وأسماء كتبهم منثورة على طول هذا الكتاب . وأما من له اليد الطولى والنصيب الأوفر في هذا الشرح ، فهم ابن مالك ، وابنه ، وأبو حيان ، وابن عصفور .

أما ابن مالك – وابنه – فقد نقل كتابه كله وهو شرح التسهيل وضمنه شرحه ، وكذلك الجزء الذي شرحه ابنه بدر الدين أيضًا. ولم يكتف بشرح التسهيل ؛ بل كان يرجع بين الحين والحين إلى شرح الكافية الشافية له ويأخذ أحسن ما فيه .

وأما أبو حيان وكتابه التذييل والتكميل في شرح التسهيل ، فإن ناظر الجيش قد أخذ أحسن ما فيه من علم ، واستحوذ على لبه ، ووضعه في كتابه، وترك الغث منه والتطويل الذي لا قيمة له . وفوق ذلك أخذ اعتراضاته على ابن مالك ليجيب عنها ويرد عليها .

وأما ابنُ عصفور فقد كان ناظر الجيش يجله إجلالًا شديدًا ويحبه حبًا كبيرًا ، ويرى أنه حامل راية النحو في بلاد الأندلس ، وأنه العلم الذي لا يبارى ؛ فاقتنى كتبه كلها ، واستحوذ عليها وقرأها قراءة الفاهم الواعي ، وأخذ أحسن ما فيها وضمنه كتابه. وتظهر قيمة شرح التسهيل لناظر الجيش أن سفرين كبيرين لابن عصفور قد ضاعا . وهما : شرح الإيضاح له، وشرح المقرب ؛ فلم يبق منهما إلا النقول التي نقلها محب الدين محمد بن يوسف الملقب بناظر الجيش ، وضمنها كتابه ، ولا تكاد تعدم في تأثر ناظر الجيش بمن سبقوه من كتب في اللغة والبلاغة والأدب ، كالتهذيب للأزهري ، والصحاح للجوهري ، والنوادر لأبي علي القالي ومفتاح العلوم للسكاكي .

. وهناك كتب كثيرة أخذ منها وانتفع بها ؛ وإن لم يشر إليها مثل : كتب أبي علي الفارسي ، وكتب ابن الحاجب ، وشرح الجمل لابن الضائع .

ثانيًا : التأثير :

أما تأثير ناظر الجيش وشرحه فيمن جاء بعده من أعلام وكتب ، فهو كبير. وهناك نقول كثيرة مبثوثة في ثنايا كتب النحو التي جاءت بعد شرح التسهيل .وسأشير هنا إلى بعض هذه الكتب وإلى أماكنها وصفحاتها وأجزائها ؛ لأن الهدف من وراء ذلك هو إثبات أن شرح التسهيل لناظر الجيش قد عرف طريقه إلى كتب وتآليف النحويين من بعده في عصر لم تكن فيه مطابع ولم يكن للكتاب إلا نسختان أو ثلاثة .أما اليوم – وبعد طبع الكتاب – فإني أجد له تأثيرًا كبيرًا وانتشارًا عظيمًا . والآن إلى الدلالة على هذه النقول بدر الدماميني : في شرحه على التسهيل المسمى : تعليق الفرائد .

ينظر نقلًا عن ناظر الجيش في باب الظروف(الجزء الخامس)، تحقيق د/ محمد عبد الرحمن المفدي .

٢–السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر ١٦١/٢.

٣–السيوطي في كتابه همع الهوامع ١٣،١٢/١.

٤–الشيخ خالد الأزهري في كتابه التصريح ٢٦٦/٢.

٥–الشنقيطي في الدرر اللوامع٥٤/٢.

٦–الأمير في حاشيته على مغني اللبيب ٨٧/١.

٧–الصبان في حاشيته على الأشموني ٥٥/٤.

٨–الشيخ ياسين في حاشيته على التصريح ١١٦/١.

٩–عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب (طبعة هارون) .

١٠–عبد القادر البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب (عبد العزيز رباح) .

بعد أن ذكرت تأثر هذا الشرح بما سبقه من كتب ، وتأثيره فيما جاء بعده – أذكر له بعض المميزات كالآتي :

١-اعتناؤه بالأجوبة الجيدة عن اعتراضات أبي حيان على ابن مالك ؛ فقد كان أبو حيان متجنيًا في كثير من المسائل والمناقشات والاعتراضات على ابن مالك ؛ فجاء ناظر الجيش ورد هذه الاعتراضات وصحح رأي ابن مالك وما اتجه . وقد بنى الكتاب على هذا وألف من أجله . ولم يترك ناظر الجيش ، أي اتهام من أبيس حيان إلا أخذه ورد عليه . وأحيانًا كان يصوب النقد .وعلى ذلك فلا تكاد تخلو صفحة من الكتاب إلا وفيها ذكر الرجلين أو أحدهما

٢-امتاز الكتاب بثراء علمي واسع ؛ فهو موسوعة كبيرة في النحو العربي ؛ حيث لم يترك صاحبه شاردة أو واردة إلا وقد تحدث فيها . ومن هنا لا يقرأ هذا الكتاب ولا يقف على فهمه إلا متخصص دقيق في النحو واللغة . جاء ذلك من الكتاب المشروح أولًا ، وهو التسهيل وصعوبته ، وجاء ثانيًا من صبر المؤلف على العلم ، وطول نفسه في التأليف ، والكتابة ، والنقول .

٣- اشتمل الكتاب على مباحث كثيرة منقولة من كتب مقيدة في موضعها .

وبعض هذه الكتب قد ضاع ، ، فأخذ منها وضمنها كتابه ، وعلى مر الزمن فقدت . ومن أمثلة ذلك : الإفصاح في شرح الإيضاح لابن هشام الخضراوي ، وشرح المفصل لابن عمرون وشرح الإيضاح لابن عصفور، وشرح المقرب له ، والتذكرة لأبي علي الفارسي ، وغير ذلك من الكتب .

يمتاز شرح التسهيل لناظر الجيش بجودة الأسلوب وقوة العبارة ؛ فقد أوتي صاحبه قوة البيان ما جعل أسلوبه سهلًا بعيدًا عن التكلف سلسًا واضحًا يفهمه كثير من الناس ؛ مع ثقل القاعدة النحوية وجفافها، وما ذلك إلا لأنه كان متأثرًا بالبلاغة في أسلوبه؛ فأضفت عليه جمالًا وبهاء

٥- يمتاز شرح التسهيل المذكور بقدرة صاحبه على مناقشة القضايا المختلفة ، وتأييد هذا الرأي ، أو رفضه بالحجة والبرهان ، وقبوله ، أو رده بالدليل والبيان .

٦- يمتاز الكتاب بحسن التنسيق والتنظيم لما يكتب من المسائل ، أو ينقل من الكتب الأخرى فهو يمهد للموضوع ليقف القاريء عليه ، أو يجمله له بعد أن يطول الكلام . وكثيرًا ما كان يقسم المسائل إلى مباحث ،أو أمور أو تنبيهات ؛ حتى يقف القاريء على ما يريد ، كل على حدة ؛ فلا اختلاط ، ولا تداخل ، وإنما ترتيب وتنسيق .

٧-كان ناظر الجيش دقيقًا في نقوله فلا تحريف ولا تبديل ،أمينًا فيها : يسند الحق لأهله وينسب الرأي لصاحبه . وهذه سمة العلماء الأجلاء .

٨- لم نجد في الكتاب كله على طوله عبارات قذف أو سب ، كما فعل أبو حيان مع ابن مالك أو غيره . وإنما اشتملت عبارات ناظر الجيش على تقدير و إكبار للعلماء واحترام . وكم دعا بالرحمة لابن مالك وبالهداية لأبي حيان وكم مدح وأثنى على ابن عصفور وغيره.

٩-يشتمل الكتاب على استدراكات كثيرة على ابن مالك أو غيره ، وعلى موازنات بين رأي ابن مالك ، وغيره ، وعلى مختصرات اختصرها من أبي حيان ، وشرحه الطويل للتسهيل ، وعلى مسائل علمية دقيقة ومناقشات مفيدة تنفع طلاب العلم والمتخصصين في الدراسات النحوية والصرفية واللغوية .

١٠-اشتمل الكتاب على شواهد نحوية لا حصر لها ، سواء من القرآن أو الحديث أو الشعر أو كلام العرب المنثور .ففي مجال الحديث تضمن الشرح ما لا يقل عن أربعمائة حديث . وفي مجال الاستشهاد بالقرآن وجد ما لا يقل عن أربعة آلاف آية . ومثل ذلك – أو يزيد – شواهد الشعر وأبيات الاستشهاد ؛ فالكتاب موسوعة علمية كبيرة . وهو أول كتاب في النحو ينشر مشتملًا على هذه السعة وهذا الحجم . وللشرح ميزات أخرى كثيرة . وبعد أن ذكرت بعضًا من مميزات هذا الكتاب أذكر بعضًا من المآخذ على هذا الكتاب ، أذكرُ منها :

١- وقوع أخطاء في بعض آي القرآن الكريم ، كتداخل آيتين أو كلمتين في آية ، أو سقوط حرف عطف ، أو وضع حرف عطف كالفاء مكان الواو .

٢- عدم العناية بذكر قائلي أبيات الشواهد ، أو الخطأ في نسبة بعض الأبيات كأن يكون البيت لجرير وينسب للفرزدق .

٣- عدم إسناد بعض النقول إلى أصحابها والنص عليهم .

٤- تمحله في بعض الأحيان للدفاع عن ابن مالك .

٥- كثرة النقول من الكتب وبخاصة كتب ابن مالك وأبي حيان وابن عصفور ؛ مما جعل شخصيته تكاد تذوب بين هذه النقول .

٦- استعماله بعض الألفاظ اللغوية في غير موضعها كلفظ : يعتبر أو اعتبار بمعنى يعد أو له اهتمام. ومعنى الكلمة في اللغة غير ذلك .

وأخيرًا أود أن أقول : إن هذه المآخذ أو غيرها لم تتكرر كثيرًا أو تنتشر في الكتاب وإنما هي مواضع معدودة في هذا الخضم الهائل واليم الواسع .

المصادر والمراجع

- طبقات النحويين،واللغويين لأبى بكر محمد بن الحسين بن عبيد الله بن مذحج الزبيدى الإشبيلى .
- الدرر الكامنة
- النجوم الزاهرة
- كشف الظنون
- معجم المؤلفين
- حسن المحاضرة للسيوطى
- شذرات الذهب
- عصر سلاطين المماليك
- مقدمة كتاب شرح التسهيل لناظر الجيش
- المدرسة النحوية فى مصر ، والشام
- شرح العمدة
- شرح التصريح
- الأشمونى ، وحاشية الصبان
- الخزانة